בס"ד

في رِحاب التّوراة

دِراساتٌ وحِواراتٌ روحانيّة مُعمّقة في النّصوصِ التّوراتيّة الأسبوعيّة مع
الحاخام جوناثان ساكس

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

نتقدّم إلى عائلة شِمل بجزيل الشُّكر والعِرفان على دَعمهم السخيّ لكتاب "في رِحاب التّوراة" (Covenant and Conversation),
ونُهدي هذا الكتاب لذِكرى الحاخام الراحِل هاري (حايم) شِمل طَيّبَ الله ذِكره.
"لقَد عَشِقتُ تعاليمَ التّوراة التي قدّمها الحاخام حايم شِمل منذُ اللحظة الأولى لاطّلاعي عليها، خاصة وأنه عَملَ جاهِداً على ألا تتطرّق تعاليمه للحقائق السطحية فقط، بل تعمّق في عَلاقتها بالحقائق الموجودة وراءها. وبرفقة زوجته أنّا، تلك المرأة الاستثنائية ذات الستين ربيعاً، فقد أسّس الحاخام حايم حياةً مُكرّسة لحُبّ العائلةِ والمُجتمعِ والتّوراة، فكانا زَوجينِ مُميّزينِ ومثالاً يُعتدّ به بكلّ ما تحمِلهُ الكلمة من معنى، الأمر الذي كان له عميق الأثرِ عليّ. " - الحاخام جوناثان ساكس

with thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

"I have loved the Torah of R' Chaim Schimmel ever since I first encountered it. It strives to be not just about truth on the surface but also its connection to a deeper truth beneath. Together with Anna, his remarkable wife of 60 years, they built a life dedicated to love of family, community, and Torah. An extraordinary couple who have moved me beyond measure by the example of their lives." — Rabbi Sacks

"بقودي" هو النصّ الأسبوعي الحادي عشر والأخير من كتاب "شموت" (سِفر الخروج) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعيّ بالآية الحادية والعشرين من المَقطع الثامن والثلاثين وينتهي بالآية الثامنة والثلاثين من المقطع الأربعين

لا تتوقَّف وواصِل المَسير

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

لقد أصبحَ الجلوسُ آفةً لا تختلفُ كثيراً عن آفةِ التدخين، وهذا ما توضّحهُ النصائحُ الصحّية المُعاصِرة. وحينَ تُمضي الكثيرَ من الوقتِ جالِساً خلف المكتب أو أمام شاشة الحاسوب فإنّك ستكونُ عُرضة للعديد من المشاكل الصحيّة. كما صنّفَت منظمة الصحّة العالمية الخُمولَ وقِلّة النشاط البدنيّ على أنها رابعُ أخطر ظاهرةٍ صحيّة بعدَ ظاهرةِ البدانة، وهذا ما حَذّرَ منه الدكتور جيمس لِفاين أحد أبرز الأطباء على مستوى العالم في هذا المجال حين قال: "لقد صِرنا نقتلُ أنفسنا بالجلوس حتى الموت".

والسَّببُ وراء ذلك يكمنُ في أننا لم نُخلَق كي نظلّ في حالةٍ من السكون والخمول، فأجسادُنا خُلِقَت للحركة والوقوف والمشي والركض. وفي حال لم نقُم بممارسة أنشطة بدنيّة بشكل مُنتظم في حياتنا فإننا سنُصبِحُ عُرضةً للكثير من الأمراض والعِلل، والسؤال الذي يطرحُ نفسهُ هُنا: هل ينطبقُ هذا الأمرُ على الروح والعقل أيضاً؟

وللإجابة على هذا السؤال، فلنلاحِظ هذا التسلسل المُذهِلَ في الأفعال المُستخدمة في الآية الأولى من المقطع الأول من سِفر المزامير، والتي تقول: "طوبى للرجل الذي لا **يَمشِي** في طريق الأشرار، وفي طَريق الخطأ لا **يَقِف**، وفي مَجلِس المُستهزئينَ لا **يَجلِس**". إن هذه الآية تختزلُ في طيّاتها ملامح الحياة التعيسة التي قد يحياها المرءُ ضمن الأخلاقياتِ والقيمِ الخاطئة، ولنلاحظ كيف أن الإنسان الطّالِحَ يبدأ مِشواره بالمَشي، ثم الوُقوف فالجُلوس، وهذا يوضّحُ لنا كيف أن الحياة الخاطِئة توصلنا لمرحلةٍ نكونُ فيها **مشلولي الحركة** تماماً.

وهذه هي الفكرة التي تؤكّدُ عليها الصلاة اليهودية المعروفة باسم "هَلِل" (صلاةُ التّمجِيد) والتي من ضمنها الآيات 4-8 من المقطع 115 من سفر المزامير، حيث تقول:

> **"**أصنامهُم ذَهبٌ وفضّةٌ مِن صُنعِ النّاس، لها أفواهٌ ولا تتكلّمُ، ولها أعينٌ ولا تُبصِرُ، لها آذانٌ ولا تَسمعُ، ولها أنوفٌ ولا تشمُّ، لها أيدٍ ولا تَلمَسُ، ولها أرجُلُ ولا تَمشي، ولا تَنطِقُ بحناجِرِها. **مثلها يكونُ صانِعوها وكلُّ مِن يتَّكِلُ عَليها".**

بصريحِ العبارة: إن كنتُ تعيشُ من أجل أشياء عديمة الحياة فإنَك ستُصبِحُ عديمَ الحياة مثلها. لكن الحالَ مُختلفٌ تماماً في بيتِ اللهِ عزّ وجلّ، فاليَهودُ قَومٌ مُفعَمون بالنشاطِ والحيويّة ولا يجلسون إلا في بيت الله، والحياةُ اليهوديّة بدأت فعلياً بالحركةِ والترحال عبر رحلتين مَصيريّتين: الأولى هي رحلةُ أفْرهام/إبراهيم من بلاد الرافدين، والثانية هي رحلةُ خروجِ موشيه/موسى من أرض مصر. وهذا ما يقولهُ الله عزّ وجلّ مُخاطباً أفْرهام في هذا السياق: **"أنا اللهُ القديرُ، سِر أمامي، وكُن كاملاً"** ، مثلما تُخبرنا الآية الأولى من المقطع السابع عشر من سفر التكوين.

فعندما كان أفْرهام يبلغُ من العمر تسعاً وتسعين عاماً، وبعد أن تظهَّرَ واختبَرَ امتثالاً لعهده مع الله عز وجلّ، رأى من بعيدٍ ثلاثة غُرباء "فهرعَ **راكضاً** ليلتقي بهم" (مثلما تخبرنا الآية الثانية من المقطع الثامن عشر من سفر التكوين). وفي الآية الأولى من المقطع السابع والثلاثين من سفر التكوين فقد "**سَكنَ (فايَشيف) يَعقوفُ في أرضِ غُربةِ أبيهِ**"، فإن الفعل المُستخدم في النص العبريّ هو الفعل **"فايَشيف"**، والّذي يَعني "استقرّ" و"جَلَسَ". وهُنا يعلّقُ الحاخام شلومو يتسحاقي (المعروف بالحاخام راشي) على هذه الآية مُقتبساً تفسيراتِ كبار الحاخامات قائلاً:" لقد كان يعقوف/يعقوب يحاولُ البحثَ عن الهُدوء والسكينة، لكن على الفورِ بدأ يواجهُ المتاعِب التي أحاطَت بابنه يوسف". والمقصودُ هُنا بأن الرجال الصالحين لا يُمضونَ حياتهم في حالةٍ من السكون والركود، لهذا فهُم لا يحظونَ بحياةٍ هادئة أبداً.

إن فكرةَ الحركة والحيويّة قلّما توصَفُ بهذا التلميح في التوراة مثلما نراها في هذا **النصّ الأسبوعي** بل وفي سفر الخروجِ عموماً. وتبعاً لآيات هذا السفر فإنّ بني يسرائيل كانوا قد أنهَوا تجميعَ وبِناء المِشكان (بيتِ العِبادة)، والآيات الختاميّة من سفرِ الخُروج تُوضّح لنا طبيعة العلاقة بين المِشكان و"غَمام المَجدِ" الذي ظهرَ بداخلِ خيمةِ الاجتماع (تبعاً لما هو مذكور في الآيتين 34 و35 من المقطع الأربعين من سفر الخروج).

ويتضّحُ لنا من هذه الآيات أيضاً بأن المِشكان قد تمّ تصميمهُ وبِناؤهُ ليكون مُتنَقِّلاً[1]، بحيثُ يكون بالإمكان تفكيكُ أجزائه ليحملها بنو يسرائيل معهُم أثناء انتقالهم للمحطّة التالية من رحلتِهم. وعِندما حان الوقتُ للمسير، انتقلَ الغَمامُ من خيمة الاجتماع إلى خارجِ المُعسكر الذي يُقيمُ فيه بني يسرائيل، فكانَ يُرشدهُم إلى الطريق الذي يجبُ عليهم اتباعه، وهذه ما توضّحهُ لنا التوراة تبعاً للمقطع الأربعين من سفر الخروج في الآيات 36-38:

> "وعِندما ارتفَع الغَمام عَن المِشكان، كان بَنو يسرائيل **يرتَحِلون في جَميع رِحلاتهم**. وإن لم يرتفِع الغَمامُ لا يرتحلون إلى يومِ ارتِفاعِها. لأنّ الغَمام كانَ على المَكان نهاراً، وكَانت فيها نارٌ ليلاً، أمام عيون بني يسرائيل **في جَميع رِحلاتِهم**".

فلننتبهِ للفرقِ الشاسِع بين الموضِعين الذين ذُكرت فيهما عبارة "**في جَميع رِحلاتهم**"، ففي الموضع الأول كان المعنى المقصود هو المعنى الحرفيّ للعبارة، بمعنى أن ارتِفاعَ الغَمام كان بمثابة علامةٍ لبني يسرائيل لكي يبدأوا المسير إلى المرحلة القادمة من ترحالهم. في المُقابل، فإن المعنى المقصودَ في الموضع الثاني **لا يُمكنُ** أن يكونَ هو المعنى الحرفيّ لها، فالغمامُ **لم يكُن** فوقَ المشكان "في جميع رحلاتهم"، بل على العكس تماماً، لأن الغَمام كان يرتفعُ فقط عندما كانوا ينصبون الخيامَ و**يتوقّفون** عن المسير، وخلال الرحلة نفسها كانَ الغَمام يسبقُهم باستمرار. وقد تنبّه الحاخام شلومو يتسحاقي (المعروف بالحاخام راشي) إلى هذه النقطة، فتطرّق لها قائلاً:

> "لقد كان المكان الذي نصبوا فيه الخيام يُدعى "مَساع" (والذي يحملُ أيضاً معنى الرحلة)... لأن كل مكانٍ كانوا ينصبون فيه خيامهم كان بمثابة نُقطة البداية لرحلةٍ جديدة، لهذا استُخدمت كلمة "رحلات" بصيغة الجَمع".

صحيحٌ أنه يوجد جانِب لُغوي لهذه الكلمة، لكن الرسالة من وراء استخدام هذه الكلمة هي رسالةٌ هامة جداً، وهذا ما يوضّحهُ لنا الحاخام راشي بعدد من الكلمات المُختصرة التي تصفُ حقيقةَ الهويّة اليهودية، حيث يقول: "**أن تكون يهودياً، يعني أن تكون دائمَ الترحال**". لهذا، فإن اليهوديّة ليسَت وُجهة أو نقطة وصول، بَل هي الرِّحلة بحدّ ذاتِها، لدرجة أن المكان الذي كان يتوقفُ فيه اليهود من أجل الاستراحة كان يُطلقُ عليه "مَساع" هو الآخر (بمَعنى رِحلة). كما أن آباءنا وأجدادنا الأوائل لم يكونوا يسكنون البيوت، بل كانوا يسكُنون الخيام [2]، وأوّلُ موضعٍ ذكرت فيه التوراة أن واحداً من آبائِنا يسكنُ بيتاً هو بحدّ ذاتهِ إثباتٌ لهذه النقطة، وهذا الموضِع هو الآية السابعة عشر من المقطع الثالث والثلاثين من سفر

التكوين التي تقول: **"وأما يعقوبُ فارتَحَل إلى سُكوت، وبَنى لنفسِه بيتاً، وصنَع لماشيتهِ مظلاتٍ (سُكوت)، لهذا دعى اسمَ المكان سُكوت"**.

إنَّ الآية التوراتية التي ذكرتُها للتوّ هي آيةٌ مُذهلةٌ بكل ما تحمله الكلمة من معنى، **فيَعقوفُ هو أوّل فردٍ في العائلة الإبراهيمية يبني لنفسهِ بيتاً، لكنه في الوقت نفسه لا يُطلق على هذا المكان اسم "بيت" (مثلَ كلمتي بيت إيل وبيت ليحيم وغيرها) بل يُطلقُ على ذلك المكان اسم "مظلّة" لماشيته**. بالتالي يبدو الأمرُ وكأنّ يعقوف – سواء كان يَعي هذا أم لا - قد بدأ يُدركُ بأن حَياةَ العهدِ مع الله عزّ وجلّ تَعني أن تكونَ مُستعدّاً دوماً للسفرِ والترحال والمَضيّ قُدُماً.

ولوهلةٍ قد يعتقدُ البعضُ بأن حياةِ الترحال كانت تنطبِقُ فقط على بَني يسرائيل قبل عبورهِم الأردن ودخولهم أرض الميعاد، لكن التوراة تُخبرنا بالعكس، مِصداقاً لما تذكره الآية الثالثة والعشرون من المقطع الخامس والعشرين من سفر اللاويين:"الأرضُ لا تُباعُ أبداً، لأنّ ليَ الأرضُ، وأنتُم **غُرَباءُ نُزَلاءُ عِندي**". بمعنى آخر، تُبيّنُ لنا هذه الآية بأننا حينَ نتصرّفُ وكأنّ وُجودَنا في أرض الميعادِ أصبَح مَضموناً فإن إقامتَنا فيها ستكونُ مؤقتة، وحينَ نتصرّفُ على أساس أن وجودَنا فيها هو أمرٌ مؤقّتٌ، حينَها تُصبحُ إقامتنا فيها دائمةً.وفي ظلّ حالة المدّ والجزرِ في هذا العالم المُتغيّرِ مع تقَلُّبِ الأزمنة، فإن كلام الله عز وجلّ هو الأمر الوحيد الثابت والدائِم في الحياة. وفي هذا السياق أستذكرُ آيةً من الآياتِ المؤثرة من سفر المزامير، وهي بالمناسبة إحدى الآيات المُفضّلةُ للفَيلسوف اليهوديّ الفرنسيّ إيمانويل ليڤيناس، وهي الآية التاسعة عشر من المقطع 119، والتي تقول: **"غريبٌ أنا في الأرضِ، فلا تُخفِ عنّي وصاياكَ"**.

بالتالي حينَ تكون يهودياً فهذا يعني أن تكون دائمَ المسيرِ والترحال، وأن تكون في حالة استعداد دائم لتبدأ المرحلة القادمة من مراحل الرحلة اليهودية بمعناها الحَرفيّ والمَجازيّ. وتبعاً لإحدى المقولاتِ الإنجليزيّة فإن "بيت المرءِ هو قَصرُهُ"، أما بيتُ اليهوديّ فهو الخيمة والمِشكانُ (بيت العبادة) والسُّكاه (المظلّة)، لأننا نُدركُ تماماً أن الوُجودَ على الأرضِ هو أمرٌ مؤقت، لهذا تجِدنا نُقدّرُ كل لحظةٍ مُتجدّدةٍ من لحظاتِ حياتِنا.

وفي هذا السياق أستذكرُ قِصّةَ حياة رجلٍ يهوديّ بريطانيّ أعتبرهُ صديقاً مُقرّباً، وهو اللورد جورج وايدنفِلد، والذي وافته المنيّة قبل بضعة سنوات عن عمر يناهز ستة وتسعين عاماً. كان جورج كاتِباً وناشِراً إضافة إلى كونه شخصيّة أوروبية بارزة وموضعَ ثقةٍ من الجميع، بالإضافة إلى كونه مُقاتلاً شرِساً من أجل السلام وصُهيونياً مُخضرماً، حيث شغل بين عامي 1949-1950م منصِب رئيس مجلس الوزراء الإسرائيليّ والمُستشار السياسي للرئيس حايم وايزمان، أوّل رئيس لدولة يسرائيل. وقبل أن يتوفّى قام بمُساعدة حوالي عشرين ألف لاجيء سوريّ مسيحيّ في الهرب من تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وهو أمرٌ يعكسُ شخصيّتهُ المُفعمة بالنشاط والحيوية حتى آخر لحظة من لحظات حياته.

وخلال مُقابلة أجرتها معه صحيفة *التايمز* (كان يبلغ من العمر اثنين وتسعين عاماً حينها) وجَّهَ له الصحفي هذا السؤال: "إن أغلب الناس في سن التسعين يكونون في حالة من التأنّي والتريّث، بينما تبدو أنتَ وكأنَّك في عَجَلةٍ من أمرك في هذا السن، فكيف تُفسِّرُ ذلك؟"، فأجاب جورج قائِلاً: "عندما تبلغُ من العمر اثنين وتسعين عاماً فإنك ترى باب الحياة وهو يُغلقُ أمامَك رويداً رويداً، لهذا ليسَ لديّ الكثيرُ من الوقتِ لأضيعهُ قبل أن يُغلق هذا البابُ تماماً. بالتالي كُلّما تقدّمتُ في العُمرِ كُلّما ازداد العمل الذي ينبغي عليّ أن أُنجزه". إن كلمات جورج هذه هي بمثابة وصفةٍ فعّالة تُبقي الروح في حالةٍ من الشباب الدائم مهما تقدّم المرءُ في العُمر.

إن أرواحنا لا تختلفُ عن أجسادنا فيما يتعلّق بحاجة كليهما للنشاط والحيويّة الدائمة، لأننا خُلِقنا للحركة والمشي والسفر كي نبحثَ ونتعلّم ونُكافِح ونتقدّم، مُدركين بأننا بنهاية المطافِ لن ننجحَ في إكمال كُل مشوارٍ نبدأه، لكن هذا لا يَعني أن نقِف مكاننا مكتوفي الأيدي. وفي الديانة اليهودية، وتبعاً لما يُبيّنهُ لنا سفر الخروج في آياته الأخيرة، فإنّ المكان الذي نُعسكِرُ به مؤقّتاً يُدعى "رِحلة" في اللغة العبرية، وهذا لا ينطبقُ فقط على أي رحلةٍ مادّية فحسب، بل ينطبقُ أيضاً على أيّ رحلةٍ روحانيّة أيضاً. بالتالي فإن حالةَ الجلوسِ والركودِ لا تختلفُ في ضَررِها على صحِتنا عن ظاهرةِ التدخين.

---

1. هذا أيضاً ينطبقُ على تابوت العهد، فقد كان يُحمَلُ باستخدام عِصيّ تمرّ عبر حلقاتٍ موجودة على جوانب التابوت، وكان يُحظرُ على بني يسرائيل إزالة تلك العصيّ حتى عندما كانوا ينصبون خيامهم للاستراحة أثناء المسير (تبعاً لما تذكره الآية الخامسة عشر من المقطع الخامس والعشرين من سفر الخروج). بالتالي كان يجبُ أن يكون تابوت العهد جاهزاً للحمل في أي لحظةٍ يبدأون فيها بالمسير. لقراءة المزيد يمكنكم قراءة تفسير الحاخام سامسون رافائيل هيرش حول هذه النقطة.

2. لاحظ بأن لوط قد أقام لنفسه بيتاً في سدوم (بحسب الآية الثانية من المقطع التاسع عشر من سفر التكوين)، والحال نفسه بالنسبة لخاله لڤان (تبعاً للآيةِ الثالثة والعشرين من المقطع الرابع والعشرين من سفر التكوين).

The original text can be found here: **https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation/pekudei/dont-sit-walk/**

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism*, *Bar Ilan University*